

السر العجيب فك تعهد زوجات الحبيب

«زوجات النبي ﷺ»

تأليف

الأستاذ الفيلسوف

الشيخ طنطاويك جوهرك

المدرس بمدرسة دار العلوم

دار صادق للنشر

ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر

الإسكندرية

السر العجيب
فك تعهد زوجات الحبيب

«زوجات النبي ﷺ»

تأليف
الأستاذ الفيلسوف
الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بمدرسة دار العلوم

دار صادق للنشر

ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر

الإسكندرية

جدى الحبيب ..

إنتمائى إليك دماً وإسماً

خير وبركة ونعمة

أعزنى الله بها

وإنتمائى إليك فكراً ورؤية

شرف أرجو من الله أن يعيننى عليه

ألفه جمال الدين طنطاوى جوهرى

رؤية مستقاه من كتابات الشيخ طنطاوى جوهري

توالت الأزمان والعصور والمجتمعات والأحداث والتواريخ والبشر بأنواعهم وأفكارهم وأخطائهم وإنجازاتهم وهفواتهم منذ إشراقة الرسالة المحمدية على أرض البشر وحتى يومنا هذا. يوم بلغ فيه التقدم العلمى فى شتى المجالات حدود تعدت الخيال بل والفهم أحياناً.

ورغم ذلك التقدم العقلى الهائل والذى جعل الإنسان قادراً على إمتطاء صهوة الطبيعة والسيطرة على مكنونها ومكوناتها لصالح رفاهيته ورخائه. فهو مازال يعاني من تخلف نفسى ومعنوى وقصور فى فهم ذاته وطبيعته هو الإنسانية.

وربما تكون تلك الاندفاع فى فرض إرادته على ما حوله من طبيعة وبشر أحياناً هو تعويض عن ضعف داخلى لأنه غير قادر على فرض إرادته على ذاته وترويض رغباته وشهواته ومجاهدة نفسه، ووساوسه وانحرافاتة.

وينعكس ذلك الخلل ما بين عقل متنامى ومتعاضم وقصور فى الوجدان فى الخلل القائم فى العلاقة ما بين المرأة والرجل فى المجتمع الإنسانى ككل فى الغرب والشرق معاً. فالرجل هو بمثابة العقل الموجه والقوة المنفذة فى الكيان البشرى على الأرض والمرأة هى القلب والوجدان فهى الأم والرفيقة والزوجة والأخت والحبيبة فى ذلك الكيان.

إن ذلك الخلل العميق فى البناء الإنسانى على الأرض يسلب كل ما نراه من حولنا من مظاهر التقدم صفة التحضر. لأن الحضارة أو

أصل الحضارة الرقى فى البناء الإنسانى المعنوى والوجدانى وليس البناء المادى المشهود. لقد بلغ المصريون القدماء ذروة الحضارة والرقى لأنهم فى خلال تجربتهم على الأرض وصراعهم مع الطبيعة أدركوا وجود القانون الإلهى الغيبى ثم توصلوا لليقين بالتوحيد. وإنما بناءهم المادى مجرد إنعكاس للبناء الحضارى والمعنوى القائم من ورائه.

ويعنى ذلك أن الخلل سيظل قائماً فى مجتمعات البشر مادامت مكانة المرأة ومكانة الوجدان والقيم المعنوية متردية فى تلك المجتمعات. لقد توالى صيحات الاستنكار ونداءات المساواة مع الرجل وغيرها من المساعى والتي لم تنجح كثيراً فى الرفع من شأن المرأة ومكانتها وإن كانت قد نجحت فى فتح أبواب العمل والاجتهاد واثبات الذات أمامها وهو ما يصفه الشيخ طنطاوى جوهرى بقوله «ألا إن للنساء نفوساً كما للرجال: يُحِبُّنَ الشرف ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة.. بل إنهن أرق شعوراً، وأطف أفئدة وأشعر قبولا لموعظة، وأكثر تقديراً لفضيلة وفى هذا الكتاب يعمل الشيخ الجليل على نفض غبار الفهم الخاطيء لحقيقة ومكانة المرأة فى الاسلام، لأن سريان مثل هذا الفهم وإحتذاء المثل به ربما يكون هو السبيل الوحيد لخلاص ونجاة المجتمع الإنسانى على الأرض والانطلاقة الحقيقية نحو بناء حضارى.

ألفه جمال الدين طنطاوى جوهرى

مقدمة لنائر الكتاب

«الطبعة الأولى والثانية»

حمداً لك اللهم يا منشىء الكائنات، ومبدع الأرضين والسموات،
وصلاة وسلاماً على أفضل المخلوقات، سيدنا محمد ذى الجاه
المنيع، والقدر الرفيع.

(وبعد) فلما كان موضوع تعدد زوجات النبي عليه الصلاة
والسلام على الخصوص وتعدد الزوجات مطلقاً فى الاسلام قد
صار حديث الناس فى مجتمعاتهم، وموضع مناقشتهم فى أنديةهم،
وقد كثر فيه القيل والقال، وطال من أجله الحدس والجدال،
ولم يهتدوا فيه حجة مقنعة تكشف الستار عن هذا (السر
العجيب) ولا الى دليل كاف يظهر لهم هذا الامر الغريب، ولم
يوجد بين ظهر انينا مؤلفات فى هذا الباب، يرجع اليها للاهتداء
بها الى الصواب، رأيت أن أقوم بنشر هذه المحاوره التى صاغها
أخونا الاستاذ الجليل الشيخ طنطاوى جوهرى فى هذا القالب
البديع، والاسلوب الرائق الجميل، بعد أن دارت بينه وبين أحد
المحاميين الكبار، حبا فى العلم ونشره، وخدمة للامة الاسلاميه-
فالله أسأل أن يأخذ بناصرنا فى سبيل الرشاد، ويوفقنا الى طرق
الهداية والسداد.

سنة ١٣٣٣ هجرية

سنة ١٩١٤ ميلادية

تقديم

«للطبعة الثالثة»

معاني الكلمات التي كتبها الشيخ طنطاوى جوهرى منذ حوالى ثمانون عاما لا تحتاج إلى شرح أو تفسير - بل تمس القلوب المتعطشة للمزيد من أسرار الرسالة المحمدية.

وقد ورد بالكتاب ألفاظ عربية معروفة فى الزمن الذى جاد فيه الشيخ طنطاوى بهذه الجواهر - إلا أنها قد تكون غير مألوفة فى الوقت الحاضر - ولذلك قد يجد بعض القراء صعوبة فى إدراك بعض معاني ألفاظ عربية بين سطور هذا الكتاب - وأيضا استبعد الناشر أن يعيد صياغة كلمات الكتاب باعتبارها معانى حية يتفاعل معها القارىء بإحساسه وبفكره - بقلبه وبعقله.

هذا باستثناء بعض الألفاظ اللغوية التى لا يؤثر استبدال مرادفها اللفظى فى معانيها.

وقد صاغ الشيخ طنطاوى الكتاب فى محاوره دارت بينه وبين حضرة محمود أفندى طلعت أبو مسلم المحامى الشهير فى هذا الوقت سنة ١٣٣٣ هجرية- وكان يطلق على المحامى فى هذا الوقت كلمة- الأفوكاتو - أو - (المدره) .

وهو الذى دارت المحاوره بينه وبين - الأستاذ (الشيخ طنطاوى جوهرى)

سنة ١٤١٤ هجرية

سنة ١٩٩٤ ميلادية

المجلس الاول

● المدرّه: أيها الاستاذ كثر القيل والقال في أمر تعدد أزواج النبي ﷺ و نحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لايزال بعضنا في شك مريب مما ذكر و يذكر في كل آن في المسألة، و لقد ترقبنا قولك فلم نحس لك من خبر، ولم نسمع لك من ركز، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين: لولا أن الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع، ما أغمض الجفن على القذى، ولا بقى في غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب، والإلحاح المتوالى عليه من الفرق المختلفة فرقا وجماعات.

● الاستاذ: لم أذر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة، ودروس متعاقبة، يتخللها سامة، تتبعها كلاله، ولم أشأ أن أقف موقف الراد على فريق معين، أو قائل متهور، أو مدع يتبين جهله، فالقرين لقرينه منسوب، والشئ يذكر بضده، والمرء يتحدث مع نظيره.

إنما تربصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة ناصعة وتكون رسالتى قائمة بنفسها، ولأقف على أكثر ما يجول فى الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء، والجواب على

مقدار السؤال.

● المدرہ: كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت الشريعة ما زاد على الأربع و أنت خبير بأن من تعود على القانون يخلجه الشك و الريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يحه لغيره، و كيف يتزوج تسعا و يمنع غيره مما زاد على الأربع و سنن الانبياء تأبى ذلك ألم تر الى ما حكى الله تعالى عن شعيب ﴿و ما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ الآية ٨٨: سورة هود و ههنا المخالفة واضحة:

إنا معشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التي كثيراً ما سمعناها من شيوخنا و قرأناها في الكتب فبيننا ﷺ يتبعه نحو خمس الجنس البشرى و سيرته قدوة للأمة

● الاستاذ: إن النبي ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما زاد على الأربع و هن عائشة و ميمونة و صفية و حفصة و هند و زينب و جويرية و رملة و سودة.

● المدرہ: ما منعه أن يفعل معهن ما أمر الحرث بن قيس، قال أسلمت و عندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهن أربعاً (أخرجه أبو داود)، و هلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الثقفي، أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً (أخرجه الترمذي)، و روى أن نوفل بن معاوية أسلم و تحته خمس نسوة فقال عليه السلام أمسك أربعاً و فارق واحدة، و النبي ﷺ كان

عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس و بين ابن سلمة، أفما كان الأجدر أن يفارق خمسا ويبقى أربعا.

● الأستاذ: قد أعددت ثلاث إجابات، لك في كل واحدة منهن شاهد مقنع.

● المدره: . هات أولاها

● الأستاذ: لقد حرم الله عليه أن يتزوج غيرهن و أن يستبدل بهن من أزواج فكان للمسلم بكل واحدة من الأربع بحيث يمكنه أن يطلقها ويتزوج غيرها، والرسول محرم عليه ذلك، قال الله تعالى ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبديل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ سورة الأحزاب: الآية ٥٢ قال البيضاوي: لا يحل لك النساء بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ولا أن تبديل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى، وقال ابن عباس: إن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر لهن الله ذلك وحرّم عليه النساء سواهن و نهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن فيتبين منه أن القانون قد اشتدت وطأته عليه فجعل لهن أن يأمنن الطلاق والاستبدال، وسواهن لا يأمنن طلاقا ولا استبدالافكثره العدد له تقابل الحصر والمنع.

و قلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالاو طلاقا فلئن ضيق على المسلمين في الكم، فقد ضيق عليه في الكيف، ولئن وسع عليه في الكم، فقد وسع عليه في الكيف، فالمساواة متعادلة ضيقا وسعة.

● المدره: لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من الظمان فالقانوني لم يزل كالمتحير الذى لا يدري من الأمر شيئا، وهو عند الله والناس المحترم، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا و ادعى للظمانينة فاننا قد أصبحنا فى زمن لا نعرف فيه للمحاباة معنى، ولا نعد مثل هذا الا تلمسا لجواب من أى باب، نعم هذا فيه مساواة فى الحقيقة، ولكن يصبح القانون نوعين لا قانونا واحدا.

● الأستاذ: لو طلق نساءه ﷺ لكان ذلك خلا فى السياسة، وسوءا فى التدبير، وتفريقا للكلمة، وبخلا بالجاه على مستحقه، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسماحة.

من ذا ترى أحق بالطلاق من نساءه أعائشة بنت أبى بكر؟ أم حفصة بنت عمر بن الخطاب؟ أم زينب ابنة جحش الاسدية؟ أم أم سلمة بنت أبى أمية المخزومي؟ أم أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب؟ أم صفية بنت حبي بن أخطب؟ أم ميمونة بنت الحرث الهلالية؟ أم سودة بنت زمعة بن الاسود؟ أم جويرية بنت الحرث المصطلقية؟

فوالله لئن طلق عائشة بنت أبى بكر لزلزلت القلوب ولكان ذلك أمراً إذا تكاد الأفئدة تنفطر منه، وتنشق المرائر. أنى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه فى الغار، وداعى أهل الضلال والكفر للاسلام، وصاحبه الأول، ومعينه بنفسه وماله، لئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا، ولكان الغدر بالأصحاب، من خصال أولى الألباب.

و لكن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة
سوداء في جبين الشرف، وسببة شنعاء في وجه الأدب، وكفرانا
للمنعمين، وطغيانا على الصحابة الصادقين، فيالها من فضيحة
يخجل لها وجه الزمان، ويُسودُّ لها الليل والنهار ويندى لها جبين
الفضيلة، ويتنصر بها جنود الرذيلة، ويشمت لها جماعة الأعداء،
ويتمزق بها عن المصلح شمل الأخلاء.

ألم تر لى ما ورد فى السيرة الحلبية ومثله فى البخارى
بزيادة وحذف فى مختلف الروايات. عن عمر رضى الله تعالى
عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلاً فدق
عليه بابه وناداه. قال عمر: فخرجت إليه فقال: حدث أمرٌ عظيم
فقلت: ماذا؟ أ جاءت غسان؟ لأننا كنا حُدثنا ان غسان تُنعل
الخيَل لغزونا فقال: لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول: طَلَّق
رسول الله ﷺ نساءه فقلت: خابت حفصة و خسرت. كنت
أظن هذا كائناً. حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى
ودخلت على حفصة وهى تبكى فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ
؟ قالت: لا أدرى هو معتزلاً فى هذه الغرفة وفيه انه استأذن
على النبي ﷺ ثلاث مرات وفى كل منهن يجيبه الغلام بقوله
ذكرتك له فصمت قال فلما كانت المرة الرابعة و قال لى مثل
ذلك وليت مدبراً فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل قد أذن لك
فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رُملٍ
حصيرٍ قد أثر فى جنبه فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟
قال فرفع رأسه الى وقال لا. فقلت الله أكبر (الحديث مطولاً)
وفيه قال عمر أستاذس يا رسول الله؟ قال نعم فجلست وقلت

يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصر وفارس والروم
قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى ﷺ جالسا وقال:
أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قد عجلت لهم طيباتهم
في الحياة الدنيا فقلت: أستغفر الله يا رسول الله (ولقد اقتطفنا
من الحديث ما يليق بالمقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه
يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحلول البلاء ثم
يفرق ويدهش ويستأذن ثم يرد وهو يوجس في نفسه خيفة
وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته، وجهنم وخزنتها، والزبانية
وسلطتها، تحيط به وبابنته لو طلقها النبي.

و روى أنه كانت جفوة بين حفصة و النبي ﷺ فبلغ أباهما
عمر أن النبي ﷺ طلقها فهال التراب على رأسه وقال ما يعبا
الله بعمر وابنته بعدها. فنزل جبريل على النبي ﷺ من الغد
وقال: ان الله يأمرك ان تراجع حفصة رحمة لعمر - أى تصالحها.
وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه أراد النبي أن يطلقها فقال له
جبريل عليه السلام إنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة.
فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة؟ فقال أما هاتان
فطلاقهما فتنة ومحنة ومفسدة أى مفسدة.

● الاستاذ: فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة هنداً زوج أبي
سلمة عبد الله بن عبد الاسد ابن عمه النبي ﷺ وهي برة بنت
عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة
ومعها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودره فأواها النبي ﷺ
وتزوجها بعد أن اعتذرت اليه وقالت انى امرأة مسنة، وانى أم

أيتام، وانى شديدة الغيرة، فأجابها على لسان رسوله بقول: الايتام
أضمهم اليّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن
بل كانت تلك المزهديات والعقبات من أقوى الدواعي للاسراع
في طلبها عطفاً عليها، ورحمة بيناتها، وصلة لرحمها، ومعرفة
بحق أخيه من الرضاع، وإيواء لصغاره من بعده.

أفتراه يطلق بعد ذلك؟ ولو أنه فعل لكان أمرا نكرا واستضعافا
للأيتام، واستخفافا بصلة الأرحام، واحتقارا لشأن اللاجئات إليه
اللاتي يستحقن معونته- أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد
الذي تبناه ﷺ وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا الى ما يقع في
بلاد المسلمين كل آن من بعده إذ يصطفى البعيد النسب،
ويقصى القريب، فيكون الخلل في السياسة والرياسة، والاسلام
وإن سوى بين الناس وجعلهم إخوة في أعمالهم الدينية والدنيوية
فقد نظر من وجه آخر الى الكياسة في السياسة. فلقد يصدق
المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة.
نعم هؤلاء وأضرابهم كانوا من أجل الانصار بل قواد الجيوش
المدافعين عن حوزة الاسلام وحدوده بالرماح والسيف، كل
ذلك مسلم ولكن نظر النبي نظراً أدق وعلمه الله بالوحي ما
جهله الملوك كالمعتصم والترك فجعلوا الموالى أولى بالمناصب،
وأحق بالكراسي، وأجدر بحفظ السياسة، والاستبداد بالرياسة،
فحق القول على أكثرهم فهم يعمهون.

نظر ذلك كله النبي فأمره الله ان يتزوج زينب وألقى في روعها
بُغض زيد فلما شكها زيد أنفتها منه، وجفوتها له، وتكبرها عليه،
إعتزازا بنفسها، اذ كانت من صميم قريش وهو مولاها قال له

أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كنتم في نفسه
من أنه أمر قبل ذلك وأخبر بأنه سيتزوجها فقال له ﴿وتخفى في
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ الآية
٣٧ من سورة الأحزاب.

ذلك لأن يصدع بالأمر ولا يخاف في الله لومة لائم فكيف
يخجل في تغيير ما ظهرت عواقبه الرخيمة بعد ذلك واستبان ضرره،
فلقد كان للترك في دولة بنى العباس من الفتك بالملوك، وفقاً
العيون، وقطع الرقاب ما تقشعر منه الجلود ولكم شدخوا الرعوس
واستنزلوا قرابة النبي بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت، ونميمة
بدت، وضحينة كاذبة يتدعونها، وأغراض ذميمة يتبعونها، والآثام
يقترفونها.

وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون
الانكشارية علموا أنهم من جنس غير الترك ومن عنصر لا يتصل
معهم ولا يلتئم فاتحدوا للمنفعة ثم أتوا صفا وأهلكوا الحرث والنسل
في انحاء الدولة وقد تهاون الترك لتلك العقارب والحيات كما
استنام العرب قبلهم لغلمان المعتصم الذين تناسلوا وتكاثروا وأوقعوا
الدولة في حيص بيص ففرقت فرقا ضعيفة، ومزقت كل ممزق،
وأصبحوا أحاديث للأمم الحاضرة والغابرة، ذلك ما كان يرمز إليه
زواج زينب ابنة جحش ذلك هو السر المصون، والجوهر المكنون
ذلك أصل سياسة الله في الإسلام جهلها الناس، ولئن علموا لقد
غشى على أعينهم الطمع، وذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون.

و ها هنا قال المدره للاستاذ آن أوان الانصراف، فلنعد غدا
صباحا، وإن موعدنا الصبح، أليس الصبح بقريب؟

المجلس الثاني

جاء الأستاذ والمدره وقال الاستاذ ها نحن فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فنقول اليوم أترى أن يُطَلَّق أم حبيبة وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب؟ وهى التى نبذت دين أمها هند وأبيها أبى سفيان فحل قریش زعيم القوم وكبير العشيرة أبى معاوية؟

هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت حبيبة وبها كان يناديها الناس - ام حبيبة فتنصر زوجها هناك وثبتت هى على الاسلام فانظر كيف صُدمت بهجر أبويها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشت قوما سود الألوان يخالفونها فى العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن وعذاب متواصل ومستمر.

فماذا فعل النبي ﷺ ليكافئها؟ أرسل عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله فزوجه ﷺ إياها وأصدقها النجاشى عن النبي ﷺ أربعمائة دينار والذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهازها النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذى توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك

يفارقها؟ ان هذا لعار وأى عار، بل إثم كبير، وزلة لا يغفرها
الدهر، ولا يرضاهما الوضع الجاهل، فما بالك بمن هو القدوة
الأعظم، والسيد الأكرم؟

أم يطلق جويرية بنت الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق
وإسمها برة التي تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها؟

ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا فى حق
بنى المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم.

قال فى الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس
وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم، ووطئوا نساءهم،
فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من الأسرى، فهل
يطلقها رسول الله بعد ان شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم
بين القبائل؟

أفيجوز فى شرعة الفضيلة ان ينسكوا رؤوسهم بين الملأ
صاغرين، ويعيروا بالخيبة والتعاسة خاسئين؟

● المدره: هذه المعاذير التى ذكرتها إقناعية لا تروى من غلة
ولا تشفى من علة ولكنها تقوم حجة وقتية، و يجتزىء بها
أواسط الناس، فأما الأذكىاء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب
وقلق واضطراب.

● الاستاذ: ولماذا؟

● المدره: إن ما جاز أن يكون شأنه مع نساءه يجوز أن يكون
مع كبراء العرب وأشرفهم فلقد يحتج كل بما يصيب نساءه

من المصائب، وما ينتابهن من النوائب وما يحل باحبابهن
والحبايب: من تنكيس الرؤوس، وحلول البؤس، وذل النفوس،
وشماتة الأعداء، وحزن الأخلاء.

● الاستاذ: ليس شأن سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبي ﷺ،
ولا وقائعهم كوقائعه فالطامة هنا كبرى وهي متوجهة للأمة
ونظامها كما أوضحت لك فيما مضى وكيف تنسى عمر وما
حثا من التراب على رأسه وهو ركن مهم من الإسلام؟ وكيف
قال هو وصاحبه أن طلاق نسائه أشد من احتدام وطيس الحرب،
وضرب الرؤوس، وإعمال السيوف، والقنا يقرع القنا، وأمواج
الموت تتلاطم؟

● ثم قال الاستاذ فماذا كنت تفعل لو كنت مكان النبي ﷺ؟

● المدرسه: أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس
ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء.

● الاستاذ: وكيف ذلك؟

● المدرسه: أملكهن زمام أنفسهن، وأخيرهن، فأكون قد مهدت
لنفسى العذر، وقطعت لسان اللوم، فلو طلقت إحداهن نفسها
لم يسود وجهها بما يقول الناس أن النبي أبغضها فبئذا وليس
مقام النبوة يمسه سوء من فراق سيده لم تختره.

● الاستاذ: قد فعل النبي ذلك إذ قال الله له ﴿يا أيها النبي قل
لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وإن كن
أسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار

الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيماً ﴿ آية ٢٨ ،
٢٩ سورة الأحزاب.

فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إنى أعرض عليك أمراً أحب ألا
تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله؟
فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل أختار
الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك
بالذى قلت. قال لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم
ييعثنى مُعْتَبِئاً ولا متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً و مبشراً.

● المدره: هذا كلام حسن فماذا كان بعد ذلك ؟

● الاستاذ: اختاره نساؤه كلهن، وحرّم عليه استبدالهن وطلاقهن،
كما تقدم وسمّين أمهات المؤمنين، وأعطين هذه المنزلة السامية
فى التاريخ والأمم جيلاً بعد جيل الى يومنا هذا.

● المدره: هل كان نساء النبى يقدرن هذا المجد قدره؟ وهل
يرين أن المجد و الشرف والاسم والصيت فضلاً عن الدار
الآخرة أرقى وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية؟ وهل
من حوادث تؤيد ذلك حتى نقول إنهن كن يردن الله والعزة
والشرف والآخرة وحتى نضرب الذكر صفحاً عما نعلمه من
أنهن كن يطلبين منه النفقة وأن ذلك كان من أسباب هجره لهن
شهرًا كاملاً لمغاضبتهن له فكان ذلك من أسباب نزول آية
التخيير.

● الاستاذ: نعم كُنَّ يقدرنه حق قدره ألم تر الى أخت دحية
وإسمها شراف بنت خليفة التى ماتت من الفرح لما علمت أن

النبي ﷺ تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن
فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على
حالتنا.

ألا إن للنساء نفوسا كما للرجال: يحبين الشرف كما يحبون
ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة كما يسعون.

لقد برهنت النساء في كل زمان على أن فيهن من تُفضل
الموت على العار بل إنهن أرق شعورا، وألطف أفئدة، وأشد
قبولا لموعظة، وأكثر تقديرا لفضيلة، وأوفى بالعهد إذا أخلصن
للزوج.

فانظر كيف قضت أخت دحية الكلبي نحبها لما فاجأها من
خبر زواجها بالنبي فقل لي رعاك الله! أكان ذلك لمال والنبي
ﷺ كان ينام على حصير ويأكل الشعير، ولا يبالي بمتاع الدنيا
ونسأؤه يطلبن منه النفقات، ويقلن له كل يوم هات؟ أم لشهوة
وعنده كثير من العقيلات الكريمات وهو قائد حرب ومعلم
تلميذ وقائم ليل، وصائم نهار وقاض بين خصوم، ومفرج هموم،
فماذا يكون حظ النساء منه؟ كلا وإنما ذلك الشرف والمنزلة
الرفيعة في الدين والدنيا فلا عجب إذا قالت سودة بنت زمعة
دعني حتى أموت تحت كنفك وقالت هي والباقيات لا تقتلنا
بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معانن ترك
قسمة.

على أننا أمهات المؤمنين و إنما لا ننكح بعدك حتى نزل
قوله تعالى ﴿ترجى من تشاء منهمن وتؤوى اليك من تشاء ومن

ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليماً حليماً ﴿ الآية ٥١ من سورة الأحزاب.

قال البيضاوى ترجى من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها.

و هناك أقوال أخرى غير هذا لا حاجة لها فى موضوعنا وقال مخاطباً للمؤمنين ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ آية ٥٣ من سورة الأحزاب فكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما تراضين عليه لما نلن من شرف، وما أحرزناه من فخر، إلى أبد الدهر.

● المدره: لم حرمت أزواجه على المسلمين من بعده؟ وهلاً أباح الله زواجهن أسوة بالناس؟

● الاستاذ: إن من الحكمة التى أودعت ذلك فى التحريم سداً لباب الفتنة، وحفظاً للسياسة وتوحيداً للكلمة. فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتناول للتداخل فى السياسة، ولفعل بأدنى سبب ولأى وسيلة ما فعلته عائشة فقد أداها اجتهادها إلى محاربة على مطالبه بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها فى الخلافة ولاجمل، ولكنها رضى الله عنها! أداها اجتهادها الى النهى عن المنكر فى نظرها واجتهادها، فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتناول للرياسة بحجة زوجية أم المؤمنين، ولكان له قدم صدق فى الخلاف

فى مواظن السياسة؁ هذا فضلا عن إكرام النبى وتعضيمه فكان التحريم لحكمة بالغة؁ وحجة نيرة؁ وآية باهرة؁ وبينه للباطل دافعة؁ وللحق جامعة فهل بقى فى صدرك أيها المدره حرج؟ ألم يوضح الله الحجة. والنبى و قد فعل مالا مطمع بعده فى إيضاح الحجة؁ ولا بقيت سبيل لعالم متخصص وخبير ماهر فيختار؁ بل قطعت الأسباب؁ ولا ملجأ لعاقل بعد ذلك أن يلج من أى باب؟

● المدره: لم يبق لى إلا باب واحد ألجه؁ ومحجة واحدة أسلكها. فهلا اتخذ ذلك فرصة؁ ونحى منهن جماعة للعبادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة واصطفى منهن أربعا ليكون جامعا للخصلتين؁ مؤديا للغرضين؁ محييا للستين. فالمتروكات للدين والعبادات؁ وذكر القرآن ومدارسته؁ وفهم الأحاديث وحفظها؁ على أن يقمن بهداية الخلق؁ وإرشاد الناس الى الحق؁ والمصطفيات يكن على عدد الزوجات لسائر الناس ليكون ذلك قاطعا لألسنة الملحدين؁ وإرشادا للضالين؁ وحجة فى هذا الزمان؟

● الاستاذ: قد كان كل ذلك واختص النبى بأربع و لم يزد عليهن وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن والحكمة فى النسفى والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك قال فى السيرة الحلبية ما نصه : وقد كان أرجأ النبى ﷺ من نسائه خمسا؁ سودة؁ وصفية؁ و جويرية؁ وأم حبيبة؁ وميمونة و آوى إليه أربعا؁ عائشة؁ وزينب؁ وأم سلمة؁ وحفصة؁ ألا تعجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن؟ فأما فى ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن فاقرا ما قال الله ﷻ فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

وأقمن الصلاة وآتين الزكاة و أطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا. إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿ آية ٣٣/٣٥ من سورة الأحزاب.

أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يُعلِّمن الحكمة ويذكرنها عسى أن يُعلِّمن الناس ويكننَّ قدوة كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن وكما كانت زينب بنت جحش ماهرة في الصناعات الجلدية فكانت بعده صلى الله عليه وسلم تخرز، وتدبغ الجلود، وتبيع وتتصدق بالثمن على الفقراء والمساكين فكانت قدوة ويا ليت بنات المسلمين يعلمن ذلك!!! ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام به زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كما تفعل الأمم المتمدينة الآن في أوروبا والشرق واليابان!!!

● المدره: عجب إذن كانت تلك مدرسة!!!

● الاستاذ: نعم هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات في الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم وهنا انفض الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد.

المجلس الثالث

● الاستاذ: ذكرنا أمس أن أول مؤسس في الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة السيدات، أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم القلوب ومحبي المعرفة الذين تجمعوا حول النبي من فقراء الله منهم أبو هريرة وصهيب وسلمان وعمار وأمثالهم ويقال أنهم يبلغون أربعمائة يأخذون الصدقات، ويحفظون القرآن، ويتعلمون الدين، عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد فهل بقي بعد ما تقدم قول لقائل؟

أليس في إبعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ما ذكر قسوة وشدة لامحل لها؟ ألم يبين للشعب أن لامطمع له في الاختصاص ولو كان جائزا له فساواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يُرجأ اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم؟ فالطلاق إذن طريق وعر، ومسلك خبيث، بل أمر يسبب العار والفضيحة يأنف منها العاقل والجاهل، فضلا عن الصالح والعالم، والنبي ﷺ لو أنه فاجأهم بالطلاق قسراً لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابي الصعلوك

فلنكسر سنك كما كسرت سنه.

و لم يتمهل عمر في ذلك و لم يترقب حتى يجد له مخرجا
من عفو أو قبول تعويض ولم يطاوله، ففر جبلة ومعه ستون ألفا
من رجاله إلى بلاد الروم فتنصروا.

ذلك لصرامة عمر في القانون و لم يتربص حتى تتيح له
الفرص مخرجا فما فعل النبي ﷺ لا مفر منه ولا مخلص، فليس
في الإمكان أبدع مما كان.

● المدرة: و أهالك .. ثم واهأ واهأ!!! لقد أتيت بالعجب،
وعلمت منك ما لم يكن يخطر على بال ، وإن في بيانك لسحرا
فما الجواب الثاني ؟

● الأستاذ: أما الجواب الثاني فأقول أن أولئك النفر وهم غيلان
و نوفل بن معاوية والحرث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم
فيكون قد اعتنقوا الدين بجميع نواحيه وأوامره. فتحدد العدد
واجب عليهم فأما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جموع
وافرة ، وألوف مؤلفة، وربيون كثير، فما قرأنا ولا روينا أن
أحدا منهم فارق ما زاد على الأربع ولو كان ذلك لنقل إلينا
واتصل بنا، وأمر تعدد الزوجات ليس بيسير إنما هو أمر اجتماعي
يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات بل نظام الاجتماع ليس
يصح إلا بعد نظام الأسرات فلو أنه أمر بفراق ما زاد على الأربع
جميع من أسلموا قبل التحريم ما خفى علينا ، ولتعدد النقل،
و كثرت الشواهد و الدلائل، وعليه يكون ﷺ واحدا من جم
غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم

يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الألوف المؤلفة، والجموع المختلفة، والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الأربعة قبل التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع: النبي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السادة والأشراف والأغنياء وعلية القوم وذوو البأس والشدة الذين هم أقدر الناس على الشهوات وصيانة النساء المصونات الفاتنات، فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة.

● ثم قال الاستاذ: أما الجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحا عما تقدم وكان الجوابين السابقين لم يكونا نقول: إنه ما من دين إلا وقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أو فعله أو نتائجه فانظر في سير الأنبياء تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله و أعماله وجهين: وجه يتلأأ نورا وتستبين فيه الحقائق واضحة جلية وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتُسود وجوههم، فيلج الشك في قلوبهم، ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، وهذا في المشاهدات معلوم يرى الناس الأشجار على شواطئ البحار ذات ظل في الماء منعكس أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه ولاحقيقة لهذا وإنما ظله مرتسم على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل الى أسفل ويرون النار المتقدة من بعيد كبيرة وهي صغيرة ويرون هيئة الشخص فوق الجبل صغيرا وهو كبير، ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولايباض، وإنما هو ضوء الشمس أو غيره وتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسموع عن الأنبياء.

ألا ترى إلى قصة الخضر اذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى فلما أن تبينت الحقيقة أدرك ان فوق كل ذى علم علمياً وأن الوجه الذى تراءى له أسود، وأن المقصد إغاثة اليتامى بعبب السفينة لئلا يأخذها الملك غصبا.

وما كان ذلك إلا للأخذ بظواهر الأمور، وانعكاس الحقائق فى المرويات كما عكست فى المرئيات.

وفى قصة داود وسيمان مُعتبر فقد كان لأولهما ٩٩ امرأة وآخريهما المئات من الحور الحسنان، كأنهن الياقوت والمرجان مما ماج به قصره وازدانت بهن حجره، وحكم سليمان، ومزامير داود، عمت أرجاء المعمورة وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يعمرون الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى (نحو سبعمائة مليون) يؤمنون بـداود وزبورهم ومزاميرهم وترى اليهود والنصارى يتلونها آناء الليل و أطراف النهار، يناجون ربهم بكرة و عشيا، متضرعين بما فى المزامير من الآيات، ولا يجدون فى صدورهم ما يجد الناس اليوم مما تموج به بحار الأنفس، وبحار العقول، وتغلى به مراحل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء عليه السلام.

علمت الأنفس بفطرتها أن الديانات و الملل لا تتصدع بمثل هذه المتشابهات التى قد يعوزها الدليل و البحث فلا يعباون بمثل تلك الشكوك، إذ هو مما يبدو لبعض النفوس وجها أسود بادىء الرأى، و لو حقق الأمر الأديب، ودقق العاقل، لوجدوا العالم كله ليس يخلو من الوجهين فى ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لاعوج فيه ولا شُبّه، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت،

ولأضرب لك مثلاً بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون منها حياة الحيوان، وقوام النبات، و استضاءة الطرق والمسالك، وجرى الأنهار بحرارتها، ومع ذلك تجد من يعيب عليها، لوجهها المسود في نظره لحكمة لم يفقهها، وآية لم يدركها، لهاجرة لذعته، أو ريح شديدة الحرارة أذته، أو ضربة شمسية في رأسه أمرضته، أو زيادة حرارة في عينه أعمته، لاستعداد في نفسه، وضعف في جسمه، وخللة في المزاج.

ومن يك ذا فم مر مريض

يجد مرأ به الماء الزلالا

فلا عيب على الشمس المضئية، انما العيب على القوابل الرديئة، فيعمى إذ ذاك عن فضائلها، ويحكم بالجزئي الموهوم على الكلي والعموم، وقد دق ذلك الجزئي فلم يحط به علما فكان النظر جزئيا لا كلياً، بل وهمياً لا عقلياً، فالأنبياء والمصلحون كالشموس، وعلومهم كالأضواء والأنوار، والملحدون أصابهم حرُّها لضعف عقولهم وإدراكهم.

و من يتطلبُ جاهداً كلَّ عثرةٍ

يجدُها ولم يسلمْ له الدهرُ صاحبُ

فلا ضرورة اذن للجوابين السابقين إلا رداً لما يقال على السنة أولئك الثرثارين والافبالله قل لى كتاب الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الأضاليل والسخافات ؟

مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأممهم لا تعترض ولا

تسخط: قُتل الانسان ما أجهله !!! قُتل الانسان ما أظلمه !!!
قُتل الانسان ما أقل علمه !!! وما أتعس نفسه، يتركون ما لديهم،
ويأتون بخيلهم ورجلهم وصفوفهم، ليحاربوا ديناً في مسألة
عرضية لا جوهرية، وثنائية لا أولية. اللهم إن عبادك في الأرض
يضلون، وأكثرهم فاسقون: يتبعون الشهوات في لهجة الدين،
فو الله، لا يريدون وجه الله، انما هو وجه الشيطان، وخبث
النفوس، وجهل العامة.

اللهم ان أكثر الناس ظلوم كفار، اللهم إننا خلقنا في أمم
يسير سوادهم مع الأهواء، يساقون كما تساق الأنعام، ما حججهم
الا المغالطات، كلُّ يسعى لملء بطنه، وسد نهمته، وشهوة
فرجه، وسلخ جلود الأمم الضعيفة وذبحها على أصنام الأمم
القوية.

فسلاح العلم أذكى سلاح وأمضاه، وهو طليعة جيش المدافع
والسهام.

● المدره: قد تجلت الحقيقة، وتالأ نورها، ووضح الحق،
واستبان السبيل، وإني أريد الكلام على تعدد الزوجات وجعلها
أربعاً.

● الاستاذ: لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحان مستبشران.

المجلس الرابع

«تعدد الزوجات بين المسلمين»

● المدراء: قد اتفقنا في الاجتماع الفائت أن نأخذ بأطراف الأحاديث بيننا في أمر تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقاداً ولا أمر مذاقاً ولا أعظم وقعاً من هذه فهي التي أطالت السنة القادحين وأطمعتهم في هذا الدين فأوضح القول فيه إيضاحاً وأتمس في القول نهجاً وسطاً لا رمزا ولا شططا بين ذلك متخذا المساواة سبيلا وان شئت فليكن الإيجاز أحسن تأويلا.

● الاستاذ: لقد غصت المجالس بهذه الكلمة و استفاض بها الحديث من الشرقيين و الغربيين ولن تجالس امرأ من بنى نهر التاميز أو السين أو الطونة او من الألمان أو الطليان وكان من المغرمين بالديانات إلا فاجأك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات. هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الأوروبى عالما بكثير من الشؤون طائرا فى الجو جاريا على الأرض بالصناعات

عائما فى البحر سابحا فله بعلمه حتى إذا دخل فى مجاولات
الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الإنسان مطلقاً فقط بظاهر
التمدين، فارغ من داخله من أى معنى.

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة
و ياليت شعرى لو انها كانت شقاً فى الدين لم تغن فتيلاً فى
الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد
وهنه فكيف وهى كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع و
مقومات هذا النوع الانسانى التعدد المعتدل على ما سترى من
أعمدة المدنية المقبلة و من عقاقير الأمراض الاجتماعية المزمنة
تعديل مزاج هذا النوع أيما تعديل، وتقومه أحسن تقويم، فمزاج
الإنسان اليوم منحرف من الضرر وإصابة الحمى من تعفن
الاخلط و تراكم أدرانه و تتابع آلامه ومسألة اجتماعه المنزلى
من عويصات المسائل و كبرياتها فلا فاض فى القول و لتسمع
ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول:

(١) اعلم أن المقرر فى الطبيعة كما هو المعلوم فى سائر
الدول والممالك أن عدد الذكور فى الميلاد يساوى عدد الاناث
تقريباً كما أوضحت فى كتابنا (أين الانسان) وعليها بنينا نظام
الأمة المقبلة إن صحت عزيمة الانسان و اراد التملص من حطته
والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الأمم
أمة أمة والبلدان بلدة بلدة لرأيت هذه العجبية الغريبة و هى
التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك
أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة أحصت ذكورها وإناثها تجد
التساوى تماماً إلا قليلاً لخلل عرض، و ضعف ومرض، وأحوال

استثنائية ، وأمور فجائية هذا هو القانون العام وهذا أساس بنينا عليه ما لهذا الانسان من نظام طبيعي في أخلاقه وسياسته وصناعته وحكومته وكيف زاغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات واكفهرت الاجواء واختلفت الأنواء وتواثبت الشُّبَّات ونقضت العهود و الامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيفه عن جادته فاقراه في كتاب «أين الانسان» تر العجب العجائب مما لا محل لذكره هنا وإنما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكرانه بإناته فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطرارا ولم يكن من زلة طبيعية واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهما طال عليها القدم كانت مواليدها يوما ما جميعا إناثا أو ذكورا بل العدل مستمر دائم فهذه أول مقدمة.

(٢) المقدمة الثانية اني قرأت في إحدى صحائف اللورد كرومر الذي كان عاملا للأنكليز في مصر في صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيد عن خمس في المائة ثم نقل عن آخرها من السائحين من بعده فقال انهم لا يزيدون عن ثلاثة في المائة هذان هما الاصلان اللذان أبني عليهما النتائج الآتية:

فإذا تقرر هذان الاصلان نقول: منذ سنين معدودة عدت أمة الانكليز نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشر امرأة في كل ألف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وولولوا و نذبوا حظهم من الطبيعة و قسطهم من العدل وقالوا ان هذا إلا خسران أين نضعهن ومن يعولهن

وماذا نصنع فيهن وزلزلت أرض نادى العموم زلزالها وأخرجت أرض الهموم أثقالها وقال سادات الانكليز مالها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وما تغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكليز في التعداد العام ولعمرك ما من أمة الا أصابها موت الأبطال في ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نسائها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فكم من نساء بلا زوج قد فقدن النصير وأعوزهن العشير فقلّت الرجال وكثرت النساء و قد بلغنا عن التعايشي خليفة المهدي السوداني انه ذبح الرجال و استحى النساء فكنت ترى في القرية الواحدة بضعة شيوخ و اطفال وآفا من النساء وقد صح في الحديث عن سيد الرسل ﷺ إذ قال في اشراط الساعة: (وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد) عجب أمر النبوة يذكر أيام المسيح الدجال وان أول أيامها يساوى سنة وثانيها يساوى شهرا وثالثها يساوى أسبوعا الخ. مشاكلة لحال الكرة الارضية حذو القذة بالقذة كما في رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وها هنا نذكر اشراط الساعة ويذكر أنه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة في هذه الأيام السود اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولا عائل لهن ولقد علا صراخ الانكليز و عويلهم من خمس عشرة امرأة زادت في كل الف رجل وامرأة لعله عارضة في النسل وطارىء من الضر على أرحام النساء وأصلاب الرجال ومناهج التربية وطرق الأغذية وما شاكل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والأضغان الظاهرة وقد سقط الأبطال في

المعارك وعم النكال واصطدم أعظم الامم قوة وأشدهم بأسا
في العراك والقتال فسقطت تلك السادة الكرام وبادت لتلكم
الأبطال المقاتلون والأشداء المحاربون فأصبحوا لا ترى إلا
مساكنهم وحرمتهم الفواتن الحرائر البوائر العوانس.

● المدرة: لقد أطلت في هذا المقام وخرج القول الى الإيهام
فإن حاصل الأمر يرجع الى ان الرجال وإن سادوا النساء عددا
فقد ينقصون عنهن بأطبع كما حصل نادرا بانجلترا و قد يكون
بالمصائب في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس
وأنا لا أرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان القانون العام لا يكون
لمثل هذه الاحوال العارضة والأمور الطارئة على أنه لو أن ذلك
يكفى في التشريع لعارضة تشتت الأسرات وتفرق الجماعات
بتعدد الأمهات في الأسرة الواحدة و هل أتاك حديث الأزواج
وبؤسهم والزوجات ونكد عيشهن وأبناء الضرائر وضعفهم وسوء
العيش والشجار والعراك والتقاضى في المحاكم وسوء العشرة
كل ذلك الشر لا يقاوم الخير الناجم من زواج تلكم الأيامى
اللائى مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الأخف وهذه
الشرور الكثيرة في الأسرات أنكى من ضرر عدد من النساء
فقدن العائل و عشن على غير طائل وهن أرامل.

● الاستاذ: لقد تعجلت ولم تتمهل حتى أتم القول فاصغ لما
أقول موجزا:

إن أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبيعي يتزوجون
بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين ففريق أصبح شديد الشهوة

قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء إما زهدا دينيا كالرهبان وإما ضعفا عارضا وإما فقرا مدقعا وإما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت فى نوع الانسان فضلا عن الحرب و النكال فى الأمم فهذا ينفى ما أشرت إليه من أنه نادر أو عارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللائى لا عائل لهن يقابلن الفريق الاول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو أنا حررنا التعدد لاصبحنا وجهها لوجه امام الخطر الدايم الذى طغى سيله و تجاوز الحد وعم فساده من أوربا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمى وسعى له سائر الممالك المتمدينة لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو حجرنا عليهم وعليهن لتولد فى مجتمعاتنا تيارات لا ضابط لها ولا رابط فطاحت العفة وضاع الشرف و ذهبت المروءة.

أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحقق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف. انظر أليس التعداد كان خمسة فى المائة او ثلاثة فى المائة اى ثلاثين فى كل ألف ومن عجب ان هذا العدد الاحصائى يواتى ما قدمناه فان المقدار فى الالف يقابل المتقاعدین فى كل أمة عن الزواج وهو القدر الذى يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدة وهى مفسدة للمرء أى مفسدة.

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتعلمين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالفجور والأمانة

بالخيانة والصيانة بالأهانة اباح الاسلام تعدد الزوجات فماذا جرى؟ تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المشرفون فمدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللاتي لا قيم لهن فتزوجوهن و اقلوا بيوت الفجور ومحال الدعارة والفحش. شهد اللورد كرومر في تقريره ان هذا العدد لم يزد.

جعل الله لكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أو مات فقام غيره فاتخذ نظيره من النساء وعالهن وهل جل المسلمين يعددون أو كلهم وهل المعدنون استوعبوا النساء حتى فقد عددهم كلا ثم كلا. لسببين: الاول انه لم يخلق الله الا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمتروكات نظير الهالكين والضعفاء والثاني: أننا نسمع أن رجلا ما اراد أن يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا في تاريخ أمة من الأمم حتى التي أباحت العدد المطلق إلى ما لا يحصى فعلمنا أن الحكمة الالهية حفظت نظام العالم.

أما ما يقال من سوء العشرة و فساد المنازل بين الأخوة فهذا كلام ناشيء من جهل القائلين به وعدم تبصرهم فليس كل أخوين من أمين متشاكسين ولا كل أخوين من أم واحدة متحابين. ان واحدا من ذوى قرابتي رأيتيه يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبي أكثر من أخى الميت الشقيق فعجبت لكذب القوم الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد في الاخوة أمر طبعي وانما يهذه العلم والتربية والادب والدين ولو كانت المشاجرة والعداوة بين الاسرة علة لمنع التعدد لقلنا فليزل نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأمم كلها في ضغائن

والافراد متشاكسون: ولو سلمنا جدلا ان العداوة كائنة فالابناء
خير والشر العارض لا يمنع الخير العظيم وهو ازدياد عدد الأمة
و ظهور الرجال فيهم على أن أكثر من نراهم فى الأمة هم أبناء
أولئك الاقوياء المترفين الاغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما ان
آخرين يعيشون ليعلموا ويؤلفوا.

قوم يلدون اجساما وآخرون يلدون عقولا كم من رجل فى
البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكراً أو أربعين ومنهم من بلغ ابناؤه
وابناؤهم عدداً وافراً فاختلطت عليه الأسماء. ما أسوأ الأمم الغيبة
الجاهلة التى تقول لأقويائها لا تتزوجوا علنا وتتزوجوا سرا لتموت
ابناؤكم فى المراحيض ما أجهل تلك الأمم ما أقل علمهم ما
أكثر جهلهم ما أوضح العلم وما أجهل أولئك فى علم الاجتماع
فالحق والحق اقول ان العالم الانسانى اليوم يعوزه الفلاسفة
والحكماء ليعرف كيف يعيش فإن نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا
ويموت على عادات موروثه ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان
ويتبعها اتباع الصبيان ويذم ما ليس من عاداته وفى التنزيل ﴿بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب
الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ الآية ٣٩ من
سورة يونس.

يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامى وياللعجب
لو أن التعدد إفساد لم يكن الثلاثون فى الالف شيئاً مذكوراً
حتى يفسد الالف ومن ذا البذى ضل عقله وزاغ بصره فحكم
بفساد الالف اذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من فى قلبه مرض
وعلى عينيه غشاوة فكيف وقد استحال الفساد صلاحاً و اضحى

الثلاثون فى الألف أو الخمسون منها إصلاحا لباقيها يلدون لهم
البنين والبنات ويخرجون القواد والعلماء والنساء الكريمات الأصل
والفتيات وهم أقدر فى الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا
من ثروة و ما أوتوا من مال فياليت شعرى كيف تسنى للأمم
ان يقولوا للمرأة افعلى الخنا اذا اخترته سبيلا وكونى زانية اذا
راق لديك وصفا وقتك ويا أيها الرجل ابحننا لك الزنا واخترنا
لك الخنا وآتينك منا قوة القانون. على ان تغازل من تشاء من
الفتيات فأى فتاة فضحتها وافزعتها وای امرأة أزلت صونها
ومددت يديك الى سترها فمزقته والى بيت شرفها فهدمته وكان
ذلك على اختيار منها ورضاء فإننا لكم معينون و ان أثمر ذلك
وَأد البنين والبنات وقلة النسل العام فى الأمة وإن فاق اعداؤها
عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم
ثم تقول تلك الأمم انفسها ايتها المرأة ويا أيها الرجل إياكما
أن تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك ايها الرجل منهن ثلاث
او أربع احذرا ذلك فإنها عادة المتوحشين و لو بصينت الاعراض
واقفلت بيوت الخنا وقمت ايها الرجل على امرأتك فأطعمتها
وكسوتها ورحمتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك ايتها المرأة
نحرمه تحريما باتا ولكننا فى الوقت نفسه نبيحه على سبيل
الفجور والخنا فاجمع يا رجل من شئت من النساء ولو الفا ما
دام ذلك سفاحا وایا كما ان تجتمعا اجتماعا شرعيا ولو أدى
ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء
وتكاثر النسل حتى يغلب العدو المفاجيء الداهم (رضينا بالخنا
رضينا بالزنا رضينا بقلة النسل وكثرة العقم رضينا أن يكون

نسبتنا الى عددنا العام كنسبة عدد الفرنسيين الى الالمانيين لما
فى الاولين من اهمال أمر الزواج وفى الآخرين من الحرص عليه
وانما علينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تتكاثر ولادة بقوانين
بلادها علينا أن نحسدنا ونتوقع الشر منها ونشفق ونسومهم
سوء العذاب ونوجس شرا من كثرة نسلها و نرسل رسلنا وطلائع
استعمارنا ونصطفى الحكام من صغار النفوس المتواضعين ونوحى
اليهم ان قبحوا لهم هذه الشريعة البيضاء سودوها فى وجوههم
وأملأوا افئدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهو شرٌ عليهم لعلهم
يرجعون عن التعدد بل لعلهم يزنون ولعله يقل نسلهم فنتمكن
من حكمهم كما قال هنرى الفرنسى فى كتابه عن الجزائر اذ
قال (قعدنا لهؤلاء المسلمين كل مرصد وسددنا عليهم السبل
واحظناهم بسرادق من نار لعلهم يقلون فلم نقدر حتى الخمر
سلطانها عليهم وهى السلاح القذ لمحاربة الشرقيين فمنعه الاسلام
ان يشرب حبه فى قلوبهم أو يفتت اكبادهم فهم يتناسلون
والفرنسيون لا يتناسلون).

حارت والله تلك الأمم. حارت فى محاربة النسل فى الأمم
المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة
ولقد اخبرنى صديق ان إحدى الامم لما رأت الزنوج الافريقيين
والوثنيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وليس عليه إلا أن يجلس
فى خيمته طول نهاره يتمتع بما تكسب النساء له من كدهن
وعملهن و هو قوى البنية ولا يصرفها الا فى أحبالهن وأيلادهن
وإنجاب الذرية فكثير النسل ولم يقدر الاوروبى ان يحاربه.
ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى

ان يقل نسلهم فما أثنأ هذا الانسان قتل الإنسان ما أكفره الآية
١٧ من سورة عبس ﴿ان الانسان لظلوم كفار﴾ الآية ٣٤ من
سورة إبراهيم.

﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم
بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ الآية ٤١ من سورة الروم.

● المدرة: والله لقد شفيت صدرى وأزلت الغمة وكشفت النقاب
عن وجه الحقيقة الجميل.

تم فى صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤
فى ميدان القبة القاهرة